التاريخ والشعر

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عيسى افندي اسكندر المعلوف

(تتمة ما سبق)

وقد تقدم ذكر البيتين اللذين ضمنّهما ثمانية وعشرين تاريخا لفتح عكآء على يد المرحوم ابرهيم باشا وطريقة استخراج هذه التواريخ منهما مشهورة فلا حاجة الى الاطالة ببيانها فلما وقف عليهما ابرهيم باشا طلب من شيخنا ان ينظم لهُ قصيدةً يعارض بها قصيدة الشيخ شاكر النحلاوي التي مدح بها استاذهُ الشيخ عبد الغني النابلسي فنظم قصيدتهُ التاريخية المشهورة ومطلعها

الزهر تبسم نوراً عن اقاحيها اذا بكى من سحاب الفجر باكيها

فأُعجب بها الوزير اشد الاعجاب واجازهُ بعشرة آلاف غرش وخاتم من الياقوت . وهذه القصيدة من معجزات الشعر فانها مع التزام التاريخ في كل شطر منها قد اودعها من البدائع والاختراعات مع السلاسة والانسجام ما لا يتاتى لكثير من الشعرآء بدون التاريخ وذلك كقولهِ منها

يقول قومي رُوَيداً قد سقمتَ هوًى فقلت مهلاً شفآءي من نواحيها

لعلَّ صافي نسيمٍ من خمائلها اتى يهبُّ على روحي فيشفيها

ولا حاجة الى التنبيه على ما في هذين البيتين من الرقة وحسن السبك والخلوّ عن التكلف . وقولهِ

راق الدلال لها والذلُّ لي ابداً ولم يَرُق كأس وِردي من تدانيها

دمعي ومبسمها الدرُّ الثمين صدًى لمهجتي فبصبر القلب ارويها

وقولهِ

ان العيون التي بانت لطائفها لها خفآء معانٍ ليس ندريها
طلاسمٌ سحرها المرموز طالعةٌ اشكالهُ في سطورٍ حار قاريها

وقد احسن في البيت الثاني ما شآء بذكر الطلاسم والسحر والرموز والاشكال وكل ذلك من التوجيه مع مراعاة النظير في البيت كلهِ . وقال بعد ذلك

لواحظُ لُجُنَ في زيّ الحداد لكي يُبرزنَ حزناً على قتلَى رواميها
الناهبات البواكي المبكيات فقد كفّت عقول البرايا عن معانيها

وقال في التخلص

رماحكم يا كرام الحيّ لا تقفوا ولا تَرُعْكم بِلَى جدّت داوهيها
كل البلايا من الدنيا متى نزلت بنا فنيران ابرهيم تفنيها

ثم قال

نارٌ ونورٌ متى قال النزالُ لهُ والجودُ هاتِ يداً لم يُلقَ ثانيها

ولا يخفى ما في هذا البيت من الطيّ والنشر مع الاستخدام وذلك ان النزال يرجع الى النار المذكورة في اول البيت والجود يرجع الى النور . وقولهُ هاتِ يداً اليد بالنسبة الى النزال بمعنى القوة وبالنسبة الى الجود بمعنى النعمة . وقولهُ ثانيها بالنسبة الى المعنى الاول بمعنى من يثنيها أي يردّها وبالنسبة الى الثاني بمعنى الثاني في العدد وهو الذي يأتي بعد الاول . وقال بعد ذلك

بنى من العزّ بيتاً دون اعمدةٍ سوى قناةِ لهُ عزّت مبانيها
اللوذعيُّ العزيز الباسل الملك آل غازي الملا بيدٍ حسبي اياديها
للسيف والرمح والاقلام قد وُلدت راحاتهُ . ولسؤّالٍ تفاجيها

غازٍ مهيبٌ حسيبٌ ماجدٌ نجبٌ صافي الصفات نفيس النفس زاكيها
اقوالهُ خُطَبٌ افعالهُ شُهُبٌ آرآؤهُ قُضُبٌ بالله حاميها

ولا يخفى ما في هذه الابيات من الجناسات والانواع البديعية مما يطول استيفآء الكلام عليهِ فضلاً عما في جميعها من نباهة المعاني وجزالة الالفاظ وانسجام التراكيب وقس على ذلك سائر ابيات القصيدة . ولهُ قصيدةٌ اخرى من هذا النوع مدح بها ساكن الجنان السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٣ مطلعها

قف بالمطايا على انجاد ذي سلمٍ وقل سلامٌ على دام في الخيمِ

وقد نسج كثير من بعدهِ على منوالهِ كولديهِ العلاّمة الشيخ ابرهيم صاحب هذه المجلة والمرحوم الشاعر العالم الشيخ خليل وكالمرحومين الشاعرين شاكر افندي شقير وسليم بك تقلا وغيرهم

والتأريخ انواع كثيرة عدّد بعضها المرحوم الابياري في كتابهِ سعود المطالع فمن اراد استقصآءها فليراجعها هناك ومنها نوعٌ يسمى المجوهر وهو ما حُسبت فيهِ الحروف المعجمة فقط مثل قول الشيخ عبد الباقي العمري شاعر العراق رحمهُ الله من ابيات

تألّقَ نجمٌ فاق في الوصف كيوانا كسا وضعهُ هام الاركام تيجانا

١٢٦٣ ١٢٦٣

واغرب ما اطلّعت عليهِ من القصائد التأريخية ما نظمهُ الشيخ محمد قبادو التونسي مشطّر قصيدة بشر بن أبي عوانة الشهيرة وقد رفع قصيدتهُ الى ساكن الجنان السلطان عبد المجيد ويُستخرَج منها الوف من التواريخ لسنة ١٢٧٦ هـ ويتولد منها قصيدة اخرى يستخرج منها كثيرٌ من ذلك مما

يدلّ على قوّة عارضة هذا الشاعر. والأُمّ هي ستة وثلاثون بيتاً والمولدة ثمانية عشر اذ يخرج من كل بيتين من الامّ بيت من المولدة ومطلع الأُمّ

خير حامٍ مجدٍ مجير العبيدِ حاط خيراً مجرَى لعبد المجيدِ

حاطهُ عن عثار جعدٍ برجفٍ منتجٍ جحد عرف ربق العهودِ

واما مطلع المولّدة فهو

خير حامٍ مجير عبد المجيدِ عن عثارٍ برجف جحد عهودِ

وتُستخرَج هذه التواريخ منهما على طريقة استخراج الثمانية والعشرين تأريخاً من بيتي شيخنا المقدّم ذكرهما في فتح عكّاء وذلك ان كل شطرٍ برمتهِ تأريخ ومهمل كل شطر مع مهمل غيرهِ أو معجمهِ تاريخ وكذا معجم كل شطر مع معجم غيرهِ أو مهملهِ فتحصل هذه التواريخ من ضم المهمل والمعجم من كل شطر الى ما في سائر الشطور على التوالي . وقد استخرج ألفاظ القصيدة الثانية من نفس ألفاظ الاولى وميّزها بالحبر الاحمر بحيث اذا قُرئت الكلمات الحمرآء وحدها من القصيدة الاولى خرجت القصيدة الثانية ولا يخفى ما يقتضي ذلك من طول الباع في صناعة النظم والاقتدار في حساب التاريخ

وبالجملة فان هذا الفن دقيق يجب ان توضع عليهِ يد السلاسة والانسجام بحيث تكون كلمات التأريخ مستقلّة بالمعنى مرتبطة بلفظة التأريخ خالية من الضرورات والجوازات الشعرية ولا سيما مثل ما يحتمل وجهين اذ يقع فيهِ التباس . ويجب ان تعتبر فيهِ الصورة اللفظية بحيث تحسب الالف المقصورة يآءً حيثما وقعت والهمزة حسب الحرف الذي تكتب بهِ وان كانت بدون حرف فلا تحسب شيئاً . والتآء المربوطة تحسب كالمبسوطة الاّ اذا وُقف

عليها فتحسب هآءً . والحرف المشدَّد يحسب واحداً وهمزة الوصل تحسب الفاً وان سقطت لفظاً الى غير ذلك مما اصبح مألوفاً فلا ينبغي الخروج عنهُ . واذا كانت الكلمات المؤرَّخ بها قليلة تقرب من الاجادة اكثر واحسن التواريخ ما كان شطراً أو شطراً وكلمة أو كلمتين وربما جآء التأريخ بيتاً كاملاً فيجب ان يشار اليهِ في سابقهِ

اما طريقة نظم الثمانية والعشرين تأريخاً في بيتين فهي ان تنصّف السنة المراد تأريخها فتجعل كل شطر من الابيات نصفين يكون مجموع جمَل معجمهِ نصفاً ومجموع المهمل نصفاً آخر وهكذا تفعل بالاشطر الثلاثة ثم تستخرج التواريخ الثمانية والعشرين على الطريقة التي تقدم بيانها . انتهى

متفرقات

جبن البطاطة — هو من المصنوعات المحدثة اول من امتحنهُ جماعة من اهل الزراعة في البلجيك وألمانيا فحققوا جودتهُ ونفعهُ وصِفة صنعهِ على ما يأتي

تُختار رؤوس من البطاطة من اسلمها وانقاها لوناً واكبرها حجماً وتُسلَق ثم تُهرَس حتى تصير عجينة متماثلة الاجزآء ويضاف الى هذه العجينة مقدار من اللبن الرائب على نسبة ١ من اللبن الى ٥ من البطاطة ثم تُعجَن بهِ حتى يمتزج اللبن بالبطاطة امتزاجاً تاماً و بعد ذلك توضع العجينة في وعآء وتغطى وتترك مدة اربعة او خمسة ايام ثم تؤخذ وتُعجَن ثانيةً وتوضع في